نقد الفكر الديني في فلسفة نيتشه

د. عبد الله عبد الهادي المرهج[1]

مقدمة

إن البناء الأساسي للدين[2] قائم على أسس مفارقة مجردة وبعيدة عن الواقع، نيتشه يرى أن الدين هو المدخل الأساس لفكرتي "الله والعالم الآخر" والمنظومة أو النسق الديني يتشكل من"الله – الوحي – الملائكة – الأنبياء – العالم الآخر – الكنيسة – الأفكار والمعتقدات الدينية" وحينما يقول نيتشه "إن الله قد مات ونحن قتلناه"[3] يعلن نهاية الدين كفكرة مجردة، ومن ثم تهاوي المنظومة التي يتشكل منها النسق الديني وتساقط أجزاءه واحداً بعد الآخر.

ناقش نيتشه معظم الطروحات الدينية بصورة نقدية، ورأى أن هنالك كثيراً من الأفكار تتناقض مع الواقع، ويجب الوقوف عندها، ورفضها رفضاً مطلقاً لأنها لا تؤمن بالتطور والتقدم العلمي الحاصل في مجالات الحياة كافة، ثم نقد المؤسسة الدينية لأنها قائمة على مجموعة من الأفكار البالية التي لا تتلاءم مع طبيعة الفكر في عصره، وتحديداً فكرة التطور والتي تزامنت مع انطلاق شرارة العلم كثورة ضد الافكار البالية كالفكر الديني والاسطوري، كما انتشرت في هذه الفترة افكار الفلسفة الوضعية التي وقفت بالند من طروحات الفلسفة المثالية ورفضت القول بافكار مجردة ومتعالية أو عالم مفارق لعالم الواقع، كل هذه الطروحات اضافة إلى موقفه الشخصي لعبت دوراً كبيراً في ثورة نيتشه على الدين.

---

(1) مدرس الفلسفة في كلية الاداب – جامعة واسط.

(2) المقصود بالدين هنا الاديان السماوية حصراً.

(3) نيتشه: العلم الجذل، ص118 ثم يقول في ما وراء الخير والشر"لقد نقض الله بوصفه"الأب " نقضاً جذرياً وبوصفه"القاضي " و"المثيب " أيضاً وكذلك أبطلت" إرادته الحرة ". نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص 89.

ومن أبرز هذه الأفكار التي ناقشها نيتشه بأسهاب:

1. فكرة الايمان القائم على الإفكار الفطرية الموجودة في ذهن الإنسان، التي يصبح الدين في ضوئها حاجة، ومن ثم فطرة.!
2. الفكر الديني القائم على المعجزة والسحر الذي يتناقض مع العلم.
3. فكـرة المسـاواة التـي جاءت بهـا الديانات وتحديداً الديانات السـماوية، ويرى انه لا معنـى لهـذا القـول لأنه يتنافى مع الطبيعة، وان هـذه الديانات صنعت طبقة من النـاس، طبقـة متعاليـة على الجميع، ولا يمكن التوجه إليهـا بالنقد، لأنهم يمثلون سلطة الله على الأرض وهؤلاء هم"رجال الدين".
4. رؤية الدين السلبية للحياة، القائمة على انكارها وعدها مصدر عذاب وألم وتمثل الخطيئة، ولا تمثل السعادة، بل هي ألم دائم للبشرية.
5. الأخـلاق الدينيـة القائمـة علـى الشـفقة والتسـامح والزهد... وغيرهـا من أخلاق الضعفاء والبؤساء الذين يمثلون الصفوة في هذه الديانات.

لذلـك سـيقوم الباحـث بعرض موجز لمناقشـة طروحات نيتشـه وموقفه العام من الديـن والفكـر الدينـي متمثـلاً بـ(اليهودية والمسـيحية) الذي شـكل صلب موضوعات فلسفة نيتشه في أغلب مؤلفاته.

قراءة نيتشه النقدية للدين:

خلال دراسـته للفكر الديني وتاريخه، عرف نيتشـه ان الدين يظهر نتيجة الخوف والحاجـة، التـي يعانيهـا أو"يكابدهـا " الإنسـان، وتحديـداً الضعفـاء والمهمشـون فـي المجتمـع، أو العبيـد ـ بحسـب تحديـد نيتشـه ـ فأغلـب الديانـات ظهـرت وسـط هذه الطبقات ولم تظهر في المركزية الغربية أو العربية، أو ما تسمى اليوم بالطبقة البرجوازية أو الارستقراطية، فهو يقول" ان الدين لم يحتو على حقيقة ابداً، لا بشكل مباشر أو غير مباشر، لا على شكل ركن من أركانه، ولا على شكل حكمة، لأن الدين إنما يولد من الخوف ومن الحاجة، وقد أنسل إلى داخل الوجود من خلال"سبل العقل التائه"[1] هذا العقل القائم على الايمان على الفطرة، لأن الحقيقة بنظر نيتشه مرتبطة بالواقع وليست فكـرة فطريـة أو قبليـة مجردة موجودة في ذهن الإنسـان أو فـي العالم الآخر، فهو يرى

(1) نيتشه: إنساني مفرط في إنسانيته، ص 75.

"أن الفطرة الدينية بائسة، والحياة الدينية شغلها الشاغل تمحيص الذات مجهرياً ومع ذلك الاسترسال الدقيق المسمى"صلاة " أي الاستعداد الدائم"لمجيء الله"[1] هذه العملية قصدها إبعاد الإنسان عن عالمه وحياته التي يعيشها وإشعاله بأمور لا علاقة لها بالواقع، لذلك فإن الجيل الجديد من الإنسانية قد تخلى عن هذه الفطرة الدينية، تحديداً في أوروبا، لأنه انشغل بالعمل والعلم وما يحصل من تغيرات هائلة في واقعه المعاش المعاصر.والدين يمثل ثورة الهامش على المركز، وهذا ما ظهر واضحاً وجلياً في الديانات السماوية، فالعبيد والعامة صاروا أسياداً للناس وصار السيد وفقاً لهذا المبدأ يساوي العبد، وهنا بدأ صراع الطبقات بسبب الأديان، وهذا يتقارب مع الدعوة الماركسية أو الطروحات الماركسية في القضاء على الطبقية، فالايمان المسيحي يدعو إلى مساواة البشر أمام الله وهذا الحكم في الحقيقة متولد من غل الفقراء ضد أولئك الذين كانوا أقوى منهم[2].

أما نيتشه فيرد على هذه الدعوة بالقول "أيها الرجال الراقون، إن طبقة الشعب تنكر الإنسان الراقي، فهي ترى الناس على اختلاف طبقاتهم إنساناً واحداً أمام الله، أما المساواة أمام الله فما لنا ولها ما دام هذا الاله قد مات"[3] فالدين يدعو إلى المساواة بين الناس جميعاً ووضعهم في مستوى واحد عن بكرة أبيهم، مع أن أول قانون للوجود الحي الطبيعي هو التمييز والتفرقة ووضع الكائنات وضعاً رأسياً، لا أفقياً، أي جعلهم في نظام تصاعدي، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، فالدين مناف للطبيعة ومتعارض مع الواقع ومضاد للحقيقة الفعلية[4].

فنيتشه يرفض إذن الدعوة إلى المساواة ويرى ان الناس طبقات، هناك سيد وهناك عبد وهنالك إنسان راق هو الهدف السامي للإنسان العادي، وذلك الإنسان هو غاية للإنسانية، فلا يصح ان يتساوى الناس جميعاً ولا معنى لهذا التساوي لأنه قائم على فكر مجرد وليس على الواقع، لأن هناك اختلافات واسعة وكبيرة بين السيد والعبد،

(1) نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص 93.

(2) فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مركز الانماء القومي، فريق الترجمة د. فؤاد شاهين ود. جميل قاسم ورضا الشابي، الاشراف والمراجعة والتقديم د. مطاع صفدي بيروت 1993، ص280 وهذه الأفكار تتقارب مع فكر ماركس الذي يدعو إلى سيادة البوليتاريا الطبقية.

(3) نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص 315.

(4) بدوي: نيتشه، ص 200. قارن مع سلامة موسى هؤلاء علموني، ص 76.

فـالأول يمثـل إرادة القـوة، والآخر يمثل الضعـف والوهن والاستسـلام لتلك الإرادة، والسـيد هـو الإنسـان المهيـأ لكي يصبح الإنسـان الأرقـى الصانع لأخلاقـه وقيمه، أما العبد فهو إنسان لا ارادي خاضع لسلطة خارج إرادة الإنسان، دائم التبرير لنفسه ودائم العثـرات والأخطـاء، أفعالـه لا تخضع لإرادته بل لقيم عليا أوجدتها. وفي هذا الجانب عندمـا يقـارن نيتشـه العهـد الجديد بالمانوية يـرى أن الأول بائس جداً قياسـاً بالمانوية لأن الأخيـرة تؤمـن بالطبقيـة فـي المجتمـع وهذا مـا ترفضه المسـيحية، إذ لا فرق بين إنسـان وآخر أمام الله فيقول نيتشـه"كم هو بئيس هذا العهد الجديد إذا ما قورن بمانو* كـم رائحتـه نتنـة"[1]، ويضيف قائـلًا" الاخلاق الهندية المرفوعة إلـى مقام الدين تحت اسـم"قوانين مانو " فهي تفرض ان تتم تربية اربعة انواع من الجنس البشـري في وقت واحـد: نـوع كهنوتي، ونوع محارب، ونوع التجار والمزارعين، وأخيراً نوع الخدم، أي نوع السودرا، جلي اننا لم نعد لدى مروضي الشقر: يستلزم الأمر نموذجاً من الإنسان أكثـر وداعـة وتعقـلاً مائة مرة كي يسـتطيع فقط أن يفهم مثل هذا البرنامج عند الخروج من الجو المسـيحي، جو المستشـفى والزنزانة، نتنفس أو نلج هذا العالم الأكثر صحية الأكثـر علـواً الأكثر رحابة[2] نيتشـه يتفـق مع الأفكار التي تتلاءم ووجهـة نظره، وعلينا الاعتراف ان الطبقية حقيقة موجودة على الأرض لا يمكن نفيها، وأما دعوات المساواة فهي مجرد أقوال مجردة فارغة من المحتوى، ويرى الباحث ان الأديان ركزت الطبقية ولـم تنفيهـا. وهـذه الدعوات لا تتوافـق مع ما جاءت به الكتب المقدسـة، فقد جعلت هـذه الكتـب الأنبياء فوق الناس جميعاً، والكتاب المقدس وضع القساوسـة في مقدمة البشر وكذا في كتاب الله العزيز "القرآن الكريم"(**)، وهنالك دعوة واضحة وصريحة

(*) مانو تعني هنا المانوية الديانة الفارسية القديمة التي تقول بالنور والظلمة.

(1) نيتشه: أفول الأصنام، ص 59.

(2) نيتشه: المصدر السابق، ص 59-60.

(**) قولـه تعالـى: ﴿ ...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾، كذلـك قولـه تعالـى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ... ﴾ وكثير من الآيات الأخرى فهي ترتكز على الطبقية فالعالم والحكيم لا يتساوى مع الإنسان العادي أو الجاهل، كذلك في الآية الثانية فهنالك مستويات ودرجات بعضها فوق بعض في توزيع الرزق، إذن ما هي الغاية من القول بالتساوي بين الناس، هل تساوي بالخلق؟ وهذه نقطة لا خلاف عليها بين رجال الدين والفلاسـفة والعلماء، ليس هذا فحسـب بل نرى ذلك ايضاً في المسـيحية عندما جعل البابا فوق الناس جميعاً، وعندما أصبح الكاثوليك هم أهل البابوية لا يمكن السـماح لآخر غيرهم بتسـلم زمام السـلطة الدينية الكنسـية، كذلك القول بالثلاثية المعروفة

إلى وجود طبقات في المجتمع، وأهم هذه الطبقات التي ظهرت مع الاديان هي طبقة رجال الدين الذين يمثلون سلطة الله على الارض وهم من يسميهم نيتشه بالمستبدين الدينيين، يقول نيتشه "ما زال أعظم الناس إلى اليوم ينحنون أمام القديس إجلالاً بوصفه لغز الاستبداد بالذات والاستغناء الطوعي النهائي: لماذا ينحنون؟ إنهم يظنون فيه – وخلف علامة استفهام مظهره الوهن البائس – إن صح التعبير – القوة المتفوقة التي أرادت أن تختبر نفسها باستبداد من هذا النوع[1] فهذا القديس يمتلك حالة من التقديس لم يملكها إنسان آخر غيره، وذلك بواسطة السلطة الدينية التي يمثلها، فصار، وفقاً لنيتشه، سلطة مطلقة وصنماً مستبداً يقف بوجه الإنسان، ثم يقول نيتشه "إن عظماء العالم تعلموا منه خوفاً جديداً إذ حسبوا فيه سلطاناً جديداً لم يقهر بعد، إنها إرادة السلطان التي ارغمتهم على التوقف أمام القديس"[2]. تلك الإرادة هي الإرادة الالهية، والقديس هو البابا الذي يحكم العالم المسيحي الذي كان يمثل قوة مطلقة تفرض رأيها على الجميع. ويرى نيتشه الذي ينعتهم بالبؤساء ان الله اختارهم لبؤسهم" لاشك في بؤس هؤلاء المدندنين بالصلوات جميعاً، وفي تعاسة أصحاب العملة المزيفة هؤلاء قاطبة، فرغم أنهم منطرحون في قرارة خباياهم فأنهم يتدفئون لكنهم يزعمون ان الله اصطفاهم واختارهم نظراً لبؤسهم، الا ترى ان المرء يخص بالجلد العنيف من يحب من الكلاب أكثر من سواه"[3] فهو يشبه الناس المؤمنين بالكلاب نظراً لبؤسهم، وللسبب نفسه اختارهم واصطفاهم من دون باقي البشرية، وهؤلاء الناس لا يعبرون عن الحياة لأنهم دائماً يخدعون انفسهم حينما يجعلون من السيء حسن، ومن الألم والقهر صبراً وفضيلة، والعجز عن الاقتصاص يتحول بفعل الكذب إلى صلاح وطيبة، والخوف والجبن إلى تواضع ومودة، والانصياع لمن يبغضون طاعة.. الخ من المبررات

"الله – الأبن – روح القدس" فالابن وهو المسيح فوق البشر وليس مثلهم فهو ابن الله وهذا تمييز طبقي واضح وهذا ما جعل منه سلطة مطلقة لا يمكن لأحد التجاوز عليه، وحتى صحابته وصحابة رسول الإسلام"محمد ﷺ " هؤلاء أصبحوا مقدسات لا يمكن المساس بها أو توجيه النقد لها، لأنها تمثل خلافة أو سلطة الله على الأرض.

(1) نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص 87.

(2) المصدر نفسه، ص 88.

(3) نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ص42 وينظر أيضاً بدوي، نيتشه ص 189-188-187 المعطيات نفسها وشرح مفصل لأخلاق الضعفاء.

التي تجعل منهم عبيداً وليسوا أحراراً كما يرى نيتشه، وهم يرون تلك الأفعال السلبية تمثل الإرادة الالهية، وهذا هو التناقض بين الله أو الدين والحياة، لأن الدين يقوم على مبدأ انكار الحياة لكونها لا تقوم على الخوف والعجز والألم والقهر..الخ من الصفات السلبية بل تقوم على أساس القوة وحرية الإرادة والسعادة، فيرى نيتشه"ان الحياة ينبوع مسرة " وليست مصدر تعاسة وألم، كما يرى المؤمنون بنظره، ويرى نيتشه ان الفلسفة المتمثلة بالميتافيزيقا متضافرة مع الدين بمؤامرة تهدف إلى اقتلاع الحياة من جذورها واحلال إرادة"إماتة الحياة" محل إرادة الحياة. يتمثل التناقض بين الدين والحياة في الأخلاق الدينية لأن هذه الأخيرة متمثلة بالكنيسة تقوم على نفي الحياة، اما رجل الدين المسيحي ولكي يكون كذلك يجب ان يرفض هذه الفكرة شكلاً ومضموناً، ويقول نيتشه في هذا الاتجاه "إن الأخلاق الدينية تقول لا لأدنى الرغائب كما لأسمى أماني الحياة وتضع الاله عدواً للحياة... ان القديس الذي يرضي الاله هو المحضي المثالي، ينتهي أمر الحياة حينما تبدأ"مملكة الرب"[1]. أي أن المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه الحياة وهو الغريزة ترفضه السلطة الدينية، وبالتالي يرى نيتشه ان فكرة الله تعبر عن العدم لأنها تحط من قيمة الحياة كما يقول: "تعبر فكرة الله عن إرادة العدم، وعن الحط من قيمة الحياة، حين لا يكون مركز ثقل الحياة في الحياة، بل في الآخرة في العدم، نكون نزعنا عن الحياة مركز ثقلها ".[2] وهذا يفسر أن هنالك تناسباً طردياً بين الدين وتدني الحياة، فالدين هو السبب في احتقار الإنسان للحياة وليس الإنسان نفسه، لذلك فهو يقول "لا لم تخيب أملي الحياة، كل سنة أجدها أفضل، أشد رغبة، وأشد غموضاً"... "الحياة وسيلة للمعرفة" عندما يملك القلب هذا الشعور يمكن أن نعيش ليس فقط بشجاعة ولكن بسعادة"[3].

لم تكتف الأديان بالنظرة السوداوية تجاه الحياة، بل تؤمن أيضاً بالسحر والمعجزة، ويرى أن الطبيعة تخضع لقوى خارقة، لذا يقول"ان الشعائر الدينية وليدة التفكير القائم على السحر والمعجزة، والطبيعة تخضع تلقائياً لهذا القانون"[4]. فنيتشه يفهم العقلية

(1) نيتشه: أفول الأصنام، ص 40.
(2) جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، ص 196.
(3) نيتشه: العلم الجذل، ص 177.
(4) نيتشه: إنساني مفرط في إنسانيته، ص 77، وللمزيد ينظر الصفحات 78-77-76.

الدينية على انها نقيض العقلية العلمية، فالروح الدينية في رأيه تفتقر إلى كل فهم للقوانين الطبيعية وما هي الا امتداد للتفسير البدائي، حيث كان كل شيء يفسر من خلال السحر والخرافة، فلا شيء في نظر هذه الروح يحدث طبيعياً[1].

وبالنتيجة وصل نيتشه إلى القول بموت الله، وهذه المقولة تحمل كثيراً من التفسيرات، أحد هذه التفسيرات هو اعلان موت الدين ومن ثم نهايته، ومن هنا يتبادر إلى الذهن السؤال الأتي: ما قيمة الدين دون غاية معروفة، ونيتشه لا يعلن موت الله فقط، بل القضاء على ظله ايضاً، فيقول"مات بوذا، إلا انهم استمروا لقرون طويلة يعرضون ظله في كهف، ظل عظيم ومخيف. مات الله لكن من طبيعة البشر أنه وربما لآلاف السنين ستبقى هناك كهوف تعرض ظله، ونحن بدورنا علينا أن نقضي على ظله أيضاً"[2]. إذن هي دعوى لإلغاء الروح الدينية عند كل الإنسان.

هذه الدعوى تكمن في الغاء الغاية التي تقوم عليها الأديان، بحيث تصبح لا قيمة لها ثم يأتي نيتشه ليدعو فلاسفة المستقبل لجعل الدين وسيلة بيد الإنسان، وهذه الدعوى تتلاءم وطبيعة فكرة الإنسان الأعلى التي تتناقض مع فكرة الله، يقول"ان الثمن المدفوع سيكون غالياً ومرعباً ابداً إذا لم تكن الأديان وسيلة تأديبية وتربوية في يد الفيلسوف، بل أرادت لنفسها ان تكون غايات اخيرة وليست وسيلة بين وسائل أخرى عند البشر كما عند سائر الحيوان"[3].

فعندما يقول نيتشه بغاية أخرى غير الإنسان المتفوق يصبح لا معنى لفكرة هذا الإنسان الأرقى، يقول نيتشه" لقد مات جميع الآلهة، فلن يعد لنا من أمل الا ظهور الإنسان المتفوق،فلتكن هذه إرادتنا عندما تبلغ الشمس الهاجرة،هكذا تكلم زارا"[4]، والدين إذا صار غاية سيظهر لنا عدد من المعاقين وأصحاب الأمراض والعاهات والمرتدين والضعفاء والبائسين [5]، أما إذا أصبح وسيلة كباقي الوسائل الآخرى فسيكون هدف الإنسان الاول هو الوصول إلى ذلك الإنسان الأرقى.

(1) فؤاد زكريا: نيتشه، ص 129.
(2) نيتشه: العلم الجذل، ص 107.
(3) نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص 99.
(4) نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص 105.
(5) المصدر نفسه، للمزيد ينظر ما وراء الخير والشر، ص 99.

نيتشه واليهودية:

تعد الديانة اليهودية أول الديانات الالهية والسماوية التي نزلت على البشرية وانتقلت المعرفة الإنسانية على يدها من الطبيعة إلى الله، ومع اليهودية انتقل الفكر الديني من تعدد الالهة إلى مبدأ وحدانية الله كذلك عملت اليهودية على تغيير الفكر الإنساني المرتبط بالاسطورة والخرافة ومن ثم ارجاع حقائق الوجود إلى الطبيعة، واليهودية فترى ان الخلق صادر عن كائن متسامي متعالي هو الله وان الوجود لم يخلق عبثاً وانما خلق على شيء من النظام والتماسك، واليهودية كما يرى نيتشه جاءت بقيم وعقائد مخالفة للطبيعة فهي قامت بازالة الطبقية فأزالت الفاظاً وقيما تدل على الفروقات بين الناس، مثل غني، كافر، شرير، نبيل، وصارت الدنيا تشويهاً للإنسان وليس نورا وسعادة وفرحا كما كان يرى السابقون فهم يمثلون أول ثورة للعبيد على النبلاء، ومن ثم سيطرت قيم الضعف والوهن والبؤس على المجتمع لآلاف السنين كما يقول نيتشه"ان اليهود.. وهم شعب ولد للعبودية وهم "الشعب المختار بين الشعوب" على حد قولهم واعتقادهم- حققوا تلك المعجزة في قلب القيم التي اضافت على الحياة الدنيوية لبضعة آلاف من السنين فتنة جديدة وخطرأ.. لقد صهر انبياؤهم الالفاظ"غني " "وكافر" و"شرير " و"عنيف" و"وحشي" في كتلة واحدة وحولوا لفظ"الدنيا" لأول مرة إلى عملة عار، وفي قلب القيم هذا تكمن أهمية الشعب اليهودي.. به تبدأ انتفاضة العبيد في الأخلاق فيصبح لفظ فقير مرادفا لـ "مقدس" و"صديق"[1].

ظهرت هذه الثورة في القيم عند انبياء اليهود أول الأمر، ثم عند الكهنة، ضد النبلاء. فانتقم الكهنة لضعفهم وعجزهم من قوة السادة، انتقموا لكراهيتهم المكبوتة، انتقموا انتقاما روحياً، وذلك بتحويل جميع القيم، قد تجرأ كهنة اليهود بفضل منطق رائع على قلب المعاني الأرستقراطية. تجرأوا على قلب المعادلة بين الطيب والنبيل من ناحية وبين القوي والسعيد من ناحية أخرى، واعتبروا طيباً الشقي المنبوذ العاجز المشوه وحده[2]. يقول نيتشه عن هؤلاء الكهنة "عند هذا النمط من الناس الذين _في المسيحية واليهودية _يتوقون إلى القوة عبر طريقة كهنوتية!فأن الأنحطاط هو فقط الوسيلة.هذا النمط له مصلحة حيوية في جعل البشرية مريضة، وفي قلب مفاهيم (خير)، (شر)،

(1) نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص44 ينظر أيضاً أصل الاخلاق وفصلها، ص 29-31 المعطيات نفسها.
(2) نجيب بلدي: مراحل الفكر الاخلاقي، دار المعارف في مصر، 1962، ص 61.

(حقيقي)، (باطل) بشكل خطر على الحياة ومفتر على العالم"[1] واعتبروا كذلك طيباً الرجل التقي المقارب من الله المحبوب عنده، وتأكد هذا الموقف بطرد النبلاء والأقوياء من النعيم[2]. "أيها النبلاء: الأقوياء: أنتم من الأصل أشرار. قساة، طماعون، أنتم الذين لا يشبعهم شيء، انتم فسقة وستكونون إلى الأبد منبوذين، ملعونين، مدانين"[3].

فنتج عن هذه الرؤية الدينية اليهودية تجاه الحياة صورتان، الصورة التي يضعها الكهنة المتمثلة بأخلاق العبيد، أخلاق الوهن والضعف والتعاسة والبؤس وصورة متمثلة بأخلاق السادة أو النبلاء، وبالنسبة لنيتشه تمثل هذه الأخلاق الأخيرة الحقيقة الوحيدة وهي اخلاق فعل، اما الاولى فهي، رد فعل، وأخلاق السادة والنبلاء ايجابية، اما أخلاق العبيد فهي سلبية، ويرى نيتشه في الأخلاق اليهودية دعوة للحط من قيمة الحياة.

"والحط من قيمة الحياة وكرهها بمجملها يؤدي إلى تمجيد الحياة الارتكاسية بوجه خاص وأصحابها هم الخبثاء والخاطئون... ونحن الأخيار المبدأ والنتيجة، يقدم الضمير اليهودي أو ضمير الاضطغان هذين الوجهين.. يظهر فيه الشامل كهذا الحقد على الحياة، والخاص كهذه المحبة للحياة، بشرط أن تكون مريضة وارتكاسية"[4]. وهؤلاء الناس يشكلون خطراً على الأقوياء، كما يرى نيتشه" المرضى هم الخطر الأكبر الذي يتهدد الأصحاء. ومصائب الأقوياء لا ينبغي ان تعزى إلى من هم أقوى منهم وإنما إلى من هم أضعف"[5]. ثم يستدرك قائلًا" ان المنكوبين والخائبين وذوي العاهات هم، هم بالذات أولئك المعاتيه من بين البشر، هم الذين يسممون ثقتنا بالحياة وبالإنسان وبأنفسنا ويشككون بها"[6] والكهنة يقودون صراعاً ضد النبلاء بواسطة هؤلاء الناس باسم الدين لكي يثبتوا وجودهم وبالتالي يؤكدون المقولة السابقة التي ذكرناها في العهد القديم تجاه النبلاء والأقوياء وكأن حال لسانهم يقول " نحن الطيبون الوحيدون،

(1) نيتشه:عدو المسيح، ص 74.
(2) نجيب بلدي: المصدر نفسه الصفحة نفسها.
(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(4) جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، ص 196.
(5) نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ص 119.
(6) نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ص 119-120.

نحن البررة، نحن وحدنا ذو الإرادة الطيبة"[1].. ويضيف نيتشه،" هكذا يهتفون، وهم يمرون بيننا مرور التأنيب الناطق، كما لو كانوا يودون القيام بدور المنذرين، كما لو ان الصحة، والبرد والقوة والأباء، والشعور بالمقدرة، مجرد آثام ينبغي زجرها: زجرها بقسوة، إذ انهم في حقيقة الأمر مستعدون هم انفسهم للقيام بالزجر. انهم متعطشون للعب دور الجلادين: وفي وصفوفهم عدد من الموتورين المتنكرين في ثياب القضاة يعلو أفواههم المزمومة لعاب مسموم يسمونه" عدالة "[2]، وهذه هي العدمية التي يسعى الكهنة لفرضها على الحياة أو الوجود، ويقول نيتشه في عدمية هؤلاء الكهنة"ان الكاهن لا يقيم وزنا للطبيعة ولا يقدسها"[3]. ويرى انهم زيفوا كل ما هو طبيعي وواقعي لا لشيء الا للحط من قيمة الحياة والحط من عالمنا الواقعي. وهذه العدمية قوة النفي بحاجة للقوى الارتكاسية إلى النصر، ان هذه اللعبة المزدوجة تعطي للكاهن اليهودي عمقاً وازدواجية لا مثيل لهما انه ينحاز بحرية وبفهم عميق للبقاء على كل غرائز الانحطاط، ولا يعني ذلك انها تسيطر عليه، لكنه اكتشف فيها قوة كان يمكن ان تجعله ينجح ضد العالم[4].

يقول نيتشه" معلوم ان الكهنة أشر الاعداء، لأنهم أشرهم عجزاً. الشعور بالعجز يعني فيهم بغضاً حزيناً يائساً، بغضاً عقلياً وهو أفظع أنواع البغض[5] وقد بلغ البغض أوجه، وإرادة الانتقام قمتها عندما رفع اليهود المسيح على الصليب فأظهروا للعيان مثال الضعف والذل والهوان في صورة اله مصلوب تحولت الانظار عندئذ نحو هذا الاله ونحو هذا المثال، وصدقت عندئذ صدقاً عملياً واقعياً معادلة اليهود بين الرجل الضعيف والرجل الفاضل اخلاقياً وفهم الناس ان الفضيلة تبدأ برفض قيم القوة والنبالة والسيادة برفض العنف والشهوة والجبروت[6]، وبهذا التحويل ثبت دين العبيد وبه انتصرت اخلاق غالبية الناس على اخلاق السادة العظماء المختارين الأصفياء[7] وذلك

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(3) نيتشه: عدوالمسيح، ص 80.
(4) جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، ص 162.
(5) نجيب بلدي: مراحل الفكر الأخلاقي، ص 62.
(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(7) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

هو الدين المسيحي الذي أصبح امتداداً لليهودية كما يرى نيتشه "أما اليهود فقد كانوا ذلك الشعب الكهنوتي بلا منازع كانوا شعباً يملك في ميدان الاخلاق الشعبية عبقرية لا مثيل لها"[1] ويرى أن روما خضعت لليهودية بواسطة ما يسموه بالكنيس اليهودي ويرى ان حركة الاصلاح التي قادها لوثر في الكنيسة المسيحية هي انتصار لليهودية وكذلك الثورة الفرنسية هي انتصار جديد لليهودية، ويرى ان الإنسان أصبح مدجناً بفضل هذه القيم والثقافة اليهودية، فقد اعتبر نيتشه الكهنة هم السلطة على الناس وان طاعتهم هي الخضوع للإرادة الالهية ومن يخالفهم فهو مرتكب للخطيئة وهو يقول في ذلك"مخالفة الله" تعني مخالفة الكاهن والشريعة وهذه توسم الآن "بالخطيئة"[2] فمن يريد ان يكفر عن خطاياها يجب أن يخضع لإرادة الكاهن ولا يخرج عن سلطانه لأنه يمثل سلطة الله على الأرض.

ونيتشه كما ذكرنا سابقاً يرى أن الكهنة ثاروا على النبلاء أو السادة لفرض قيمهم على المجتمع الذي يسيطرون عليه، والمسيح جاء بثورة أو انتفاضة مماثلة لانتفاضتهم فكانت ثورته كما يرى نيتشه ليست سوى إلغاء سلطته ليحل محله ويأخذ مكانه، يقول نيتشه" لست اعرف ضد من وجه ذلك التمرد الذي يعد يسوع صواباً أو خطأ سبباً له ان لم يكن تمرداً ضد الكنيسة اليهودية معطياً للكنيسة بالضبط المعنى الذي نتناوله اليوم في هذه الكلمة كان تمرداً ضد "الصلاح والعدل "ضد" قديسي إسرائيل" ضد زعامات المجتمع ليس ضد فساده بل ضد السلالة، ضد التنظيم، والصياغة، كان شكاً بالإنسان الرفيع وقوله لا في وجه كل الكهنة والربانيين"[3]. هنا يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده: لماذا نيتشه أعد الكهنة زعامات المجتمع بعد ان كانوا يمثلون العبيد، وتأتي الإجابة لأنهم فرضوا ارادتهم وسلطانهم على الناس فأصبحوا يمثلون إرادة القوة ويمثلون السادة، وعلى العموم فهو يعد ما قام به المسيح حركة من بين الكهنة فهو يقول "إن الحركة المنتفضة الثائرة الصغيرة معمدة تحت اسم يسوع الناصري، هي مرة أخرى

(1) نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ص47وينظر ايضا سنا صباح آل خالد، موقف نيتشه من الدين رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2002، ص 61-65.

(2) نيتشه: عدو المسيح، ص80 ويقول نيتشه: إن الخطايا "عند كل شعب منظم كهنوتياً تغدو أجراً لا غنى عنه وضرورياً تلك الخطايا.

(3) المصدر نفسه، ص 82. هي الادوات الحقيقية لبلوغ السلطة والكاهن يحيى من تلك الخطايا ويحتاج إلى أن يوجد خطأه. المصدر نفسه، ص 81.

الغريزة اليهودية، وبمصطلح آخر غريزة الكاهن التي لم تعد تحتمل الكاهن كحقيقة هي الاقتناع بشكل وجود أكثر تجريداً وبرؤيا أكثر لا واقعية للعالم"[1] فهو يرى في الكهنة اليهود متمسكين نوعاً ما بعالم الواقع وما يريده اليسوع هو تجريد العالم من واقعيته فقام هو ومجموعة من الطبقة الدنيا اليهودية بهذه الحركة ولأنه قام بهذا العمل ضد زعامات المجتمع وضد الكهنة فكان مصيره الصلب وكما قلنا سابقاً فهو قد ارتكب خطيئة بخروجه على السلطة الالهية فالقطعة التي كتبها على الصليب تشير إلى أنه مات أو قتل بسبب خطيئته.

إذن رجال الدين هم أول من بدأوا بصنع قيم مقدسة متعالية سامية ومجردة وهي ذات بعد ميتافيزيقي، وأصبح الخروج عن هذه القيم خطيئة يعاقب عليها الإنسان. من هنا اكتسب الفكر الديني الميتافيزيقي قديسته بأنه يعاقب على الاخلاق، ولهذا السبب أصبح كل ما ينتج عن هذا الفكر صادقا وما يخالفه فهو خاطئ، ومن هنا اكتسبت فكرة التطابق قدسيتها والوحدة اطلاقيتها وشرعيتها، ولهذا السبب انتقد نيتشه مبدأ الوحدانية الذي قالت به جميع الديانات السماوية، ورأى انه يشكل خطراً ما امام التفكير، ويمثل قوة تسلطية تقمع الافكار الحرة، كما رأى في تعدد الالهة أكبر فائدة للإنسان ويمثل ذلك صورة ايجابية لأنه يسمح للإنسان بحرية الاختيار وهو غير مقيد بفكر احادي أو اله مطلق واحد، ولذلك فهو يقول " ان الحرية التي كان يعترف بها لهذا الاله ضد الالهة الأخرى انتهى الأمر بمنحها إلى الذات ضد القوانين، والتقاليد وضد الجيران، وبالمقابل ربما كان التوحيد يشكل هذه النتيجة الصارمة لعقيدة الرجل العادي الفريد، هذا الايمان بالله عادي لا تشكل الالهة الأخرى بالقرب منه الا الهة مزيفة، ربما كان يشكل أكبر خطر على الإنسانية بأكملها حتى الآن"[2]. عبادة اله واحد اضطرت الإنسان إلى جعل الذات سلطة مطلقة وقانوناً صادقاً دائماً.. يقول نيتشه "نلقى بالاصل في تعدد الالهة اول صورة لحرية التفكير وبتعدد أفكار الإنسان"[3]. تعدد الالهة يؤدي إلى تنوع فكري بعيداً عن الجمود وهذا التنوع يؤدي إلى الاختلاف لا كما يريد الاله الواحد الثبات والوحدة، وهذه الرؤية تنطلق من ايمان نيتشه بالصيرورة والتغير والتطور، وهذا التأكيد على تعدد

(1) المصدر نفسه، ص 82.
(2) نيتشه: ما وراء الخير والشر، ص 88.
(3) نيتشه: العالم الجذل، ص 126.

الالهـة يـؤدي بالتالـي إلى تعدد معنى الحقيقة، فتصبـح هناك حقائق متعددة، وهذا يضع الإنسان أمام اشكالية معقدة وهي كيفية معرفة الحقيقة اليقينية وسط تعدد الحقائق، وهذا القـول يـؤدي بالنتيجـة بالإنسـان ان يكون مشـتتاً ذهنياً وفكرياً، ويصـار وجوده بلا غاية نهائياً، والباحث يرى ان من الضروري ان تكون هنالك حقيقة كلية مجردة تكون قانوناً يتفـق عليـه الجميـع، والاختـلاف لا يكون في تعدد الحقائق بـل على العكس يجب ان يكون حول الحقيقة ذاتها، لأن عمل الذات سيكون بلا غاية ازاء تعدد الحقائق وحينذاك لـن نسـتيطع التمييـز بين اليقيـن والخطأ، على الرغم من نقد نيتشـه لليهودية، لكنه يكن الاحترام للعهد القديم ويجده يتميز على الآداب والكتابات اليونانية والهندية، فهو يقول فـي احترامـه للعهـد القديم " في العهـد القديم اليهودي في كتـاب العدالة الالهية أناس وأشـياء وأقـوال عظيمة الطـراز بحيث لا يمكن للكتابات اليونانيـة والهندية ان نضاهيها بشـيء، والمـرء يقـف بوجـل ورهبة أمام هـذه البقايا العظيمة لما كان عليه الإنسـان في زمن غابر، وتراوده أفكار محزنة حول آسيا القديمة وأوروبا"[1].

ويـرى ان مـن الابتـذال ضم العهـد الجديد للقديم ليكونا كتابـاً واحداً وذلك لأن العهد الجديد يتناقض مع تفكير نيتشـه فهو كتاب للسـلام والمحبة والشـفقة والتسامح، فهو يقول"إلصاق هذا العهد الجديد بالعهد القديم ليكونا كتاباً واحداً هو الانجيل"كتاب الكتـب " لعـل وخـز ضمير أوروبا الأدبي يكمن في ذلـك التجرؤ الأكبر وتلك الخطيئة الكبرى بحق الروح"[2]. فهو يجد في العهد القديم افكاراً تتقارب مع تفكيره في البطولة والقوة، فضلاً عن اسلوبه الأدبي الرفيع.

نيتشه والمسيحية:

شـكلت المسـيحية بالنسـبة لنيتشـه عقدة لازمته طيلة حياته لم تفارقه حتى لحظة مماتـه، إذ لـم يتـرك مؤلفا من مؤلفاته الا وتناول المسـيحية بشـيء من النقد القائم على أساس الدعوة إلى الغاء الثقافة المسيحية الداخلة في جميع مفاصل الحياة الغربية بحيث صـب جـام غضبـه ضدها، وعدّهـا مصدر الانحطـاط والتخلف الذي اصيـب المجتمع

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المصدر السابق، ص 88-89. ينظر أيضاً سنا صباح، موقف نيتشه من الدين، رسالة ماجستير، بغداد، ص 64.

الغربي بسرطانه أبان العصور الوسطى وما بعدها حتى عهده.

فقد عد دعوات المسيحية القائمة على مبدأ الشفقة والخطيئة والشعور بالذنب والألم والزهد والرحمة والمساواة.. الخ دعوات لأخلاق تتعارض مع الطبيعة الإنسانية القائمة على الصراع والقسوة والغريزة والتفاوات الطبقي.. الخ.

لقد قاد نيتشه صراعاً ضد المسيحية الكنسية، إذ رفض كل ما جاءت به هذه الأخيرة من أفكار وعقائد بدءاً من عقيدة التثليث"الأب، الابن، روح القدس" التي قامت عليها المسيحة، ثم الأخلاق التي نادت بها وصولاً إلى وقوفه بوجه القديس بولس الذي عده رمزاً للإساءة للديانة المسيحية نفسها، لكن مع ذلك وضع نفسه نداً للمسيح نفسه بحيث رأى في نفسه مبشراً مثله مثل المسيح، ورأى في كتابه"هكذا تكلم زرادشت " كتاباً مقدساً لا يقل قدسية عن العهد الجديد أو الانجيل، والباحث يتفق مع رأي سلامة موسى الذي ذهب فيه إلى ان القارئ لنيتشه في حملته على المسيح يشعر بحسن ووجاهة الرأي الذي يقول به اندريه جيد، ان نيتشه يغار غيرة شخصية من المسيح.. بل نحس ونحن نقرأ كتاب"هكذا تكلم زرادشت" انه يقلب العبرة والدلالة من كلمات المسيح ويضع مكانها كلمات أخرى لها معنى يناقض ما طرحتة الأخلاق المسيحية ثم يزيد على هذا فيحاكي أسلوب الانجيل.[1] اما نيتشه فيقول في كتابه سابق الذكر" من بين كل اعمالي يحتل زرادشت (ي) موقعاً خاصاً، عبرة تقدمت إلى البشرية بأكبر هدية لم يسبق لها ان نالت حتى الآن. هذا الكتاب بنبرته التي تعبر آلاف السنين ليس أعظم كتاب على الإطلاق فحسب، كتاب أعالي بحق، يبدو الواقع الإنساني بكليته رابضاً على مسافة خيالية من تحته، انه ايضاً الكتاب الأكثر عمقاً كتاب طالع من الأعماق السرية لكنوز الحقيقة، بئراً لا تنضب حيث لا تنزل ولو دون ان تصعد ممتلئاً ذهباً وخيراً كثيراً"[2].

حينما ننظر إلى هذا النوع من الناس نحكم عليه بأنه"نرجسياً " لكن رؤية نيتشه لمؤلفه هذا لم تأت اعتباطاً، بل هي تحصيل حاصل لحقيقة لا يمكن انكارها، ففي كتابه

(1) سلامة موسى: هؤلاء علموني، القاهرة - مكتبة الخانجي، بغداد، مكتبة المثنى بلا تاريخ، ص 71.

(2) نيتشه: هذا هو الإنسان، ص10 ويقول عن قراءته للعهد الجديد:عبثاً فتشت في العهد الجديد، على أن أجد ولو فقط قسمة ظريفة: فما به من شيء حر، اريحي، كريم، شريف، هنا لم تبدأ حتى الان الصيرورة البشرية – تنقص غريزة النظافة – ليس في العهد الجديد أكثر من غرائز سيئة، عدو المسيح، ص 131.

هذا يأتي بقيم وعقائد مخالفة لما جاء به المسيح في الانجيل، فالمسيح يتمسك بالعالم الآخر ويعتقد انه العالم الحقيقي ونيتشه يرى عكس ذلك، فهو يرى في عالم الأرض الحقيقة الملموسة والمحسوسة، والمسيح يبشر بثقافة التسامح والشفقة والزهد والرحمة والحنان والاخاء البشري في أبوة الله،في حين يدعو نيتشه إلى القسوة وضرورة التفاوت، ولنيتشه كما للمسيح خلوته واستيحاؤه وله ايضاً"العشاء الأخير" الذي يقول عنه بلسان زرادشت" هذا العشاء لتذكروني"[1] ليس هذا فحسب، بل هنالك عدة مقارنات أخرى بين المسيح ونيتشه، لأن الأول نبي، والآخر يبشر لنفسه بالنبوة، المسيحية الكنسية ترى بالحياة وعالم الارض مصدراً للعذاب وألماً بالنسبة للإنسان، اما نيتشه فيبشر بأخلاق قائمة على حب الحياة والتمسك بعالم الارض، ونيتشه يبشر بنشر ثقافة القوة على حساب ثقافة الوهن والضعف التي تدعو إليها المسيحية، والإنسان في الفكر الديني المسيحي وسيلة للوصول إلى غاية هي ادراك الذات الالهية والفوز بالنعيم في العالم الآخر، اما نيتشه فيرى بالإنسان وسيلة وغاية في الوقت نفسه، والإنسان العادي هو الوسيلة لكي يصل إلى الغاية وهي الإنسان الأرقى"السوبرمان " كذلك فالمسيحية تؤمن بالمساواة بين الناس جميعاً، اما نيتشه فيعتقد ان هذا القول يتعارض مع الطبيعة والحياة والواقع لأن المجتمع يقوم على الطبقية، فهنالك قوي وآخر ضعيف، وهناك سيد وآخر عبد، وهناك غني وآخر فقير...الخ فهو يقول في نقده لفكرة المساواة في المسيحية"المساواة بين النفوس تجاه الله، هذا الزيف، هذه الحجة التي هي حجة الضاغنين الأكثر حطة، هذا المفهوم البالغ الانفجارية الذي تحول أخيراً إلى ثورة، والفكرة الحديثة والأساسية للانحطاط في كل النظام الاجتماعي، هي ديناميت مسيحي"[2]. ثم يقول في تعنيف المسيحية ورفضها"انني ادعو المسيحية اللعنة الكبيرة الوحيدة، الشذوذ الباطني الأكبر والوحيد، والغريزة الأكثر تفرداً للانتقام، الذي لأجله ليس ثمة أداة سامة كفاية، خفية، سردابية، لئيمة مثلها، انني ادعوها اللطخة الأبدية فوق البشرية"[3]. والديانات ركزت الطبقية ولم تنفيها، فالمساواة دعوة تجريدية مثالية ليست لأنه لو قارنا المسيحية بالإسلام لرأينا الاثنان صنعوا طبقات فوق الناس جميعاً، فالكاهن والقديس

(1) سلامة موسى: هؤلاء علموني، ص 71.
(2) نيتشه: عدو المسيح، ص 186-185.
(3) المصدر نفسه، ص 186.

والقس والصحابي فوق الناس جميعاً، اضافة إلى ذلك لو قارنا بين الكتابين"الانجيل، وهكذا تكلم زرادشت " لوجدنا تشابهاً غريباً بينهما، من حيث اللغة والأسلوب ثم ان الكتابين عبارة عن شذرات والفرق الوحيد هو الرؤية النيتشوية المقلوبة للعهد الجديد، حينما نقرأ "هكذا تكلم زرادشت "، نشعر كأنما نقرأ الانجيل، لكن بصورة مقلوبة أو مغايرة لما جاء به العهد الجديد ونطق به السيد المسيح، ونرى الاختلاف بينهما في النصوص، فالسيد المسيح يقول في العهد الجديد "الإنجيل" "لا تجمعوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والصدأ كل شيء. ولا ينقب اللصوص ويسرقون، بل اجمعوا لكم كنوزاً في السماء، حيث لا يفسد السوس والصدأ أي شيء ولا ينقب اللصوص ويسرقون، فحيث يكون كنزك يكون قلبك"[1] فالمسيح B يرى في عالم الارض عالم فساد وانحطاط وتحلل، لأنه عالم المادة والأجسام، والمسيح يشدد على عالم السماء لأنه يرى فيه عالم الخير، وذلك بسبب ارتباط الروح والقلب به فيكون هو العالم الحقيق، لأنه عالم لاتمسه الاجسام والمادة، فلا يناله الزوال والتحلل والفساد. إذن فعالم السماء هو الحقيقة المطلقة وعالمنا هو زيف وهو خداع، وكون عالم الارض هو عالم الفساد، كما نرى هنا شكل هذا الامر نقطة الخلاف بين المسيحية ونيتشه، حيث يرى فيها صورة الافلاطونية والمثالية، وفي رد على السيد المسيح وقلبه لذلك القول وتركيزه على عالم الارض فيقول" ان هذه الذات تتدرب على الافصاح عن رغباتها في الاخلاص، وكلما ازدادت تدرباً ألهمت البيان للاشادة بالجسد وبالارض"[2] فهو يقول بأهمية وأفضلية عالم الارض على عالم السماء لأنه يرى فيها الحقيقة الواقعية، وبأهمية الجسد على الروح، وبأهمية الواقع على المثال، فهو يؤكد على عظمة عالم الارض وإلا لما نزل الانبياء على الأرض، فهو يقول "اعلمهم(*) ان يطمأنوا إلى هذه الطريق فلا تنزلق ارجلهم عنها كما انزلقت ارجل الاعلاء المتهكمين وما هؤلاء إلا من ابتدعوا الأشياء السماوية واخترعوا قطرات الدماء المراقة لافتداء البشر، على ان هذه السموم التي اخذوا بلذتها ورهبتها لما يستخرجوها من الجسد ومن الأرض"[3] وهذا

(1) الكتاب المقدس، العهد الجديد، الترجمة العربية المشتركة من اللغة الاصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بيروت 1997، ص 14.

(2) نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص 52.

(*) اعلمهم: أي ليعلم الناس.

(3) المصدر نفسه، ص53.

النـص يوضح طريقة نيتشـه لتفسـر اليـدن والمعتقدات الدينية، ويـروي هذه المعتقدات الدينية إلى اصول ارضية واقعية، وهذا القول يشكك بكل الأفكار والقيم المقدسة التي كان مصدرها عالم السـماء، ويشـكك بالنبوة نفسـها، لأنه يراها من صنع الإنسان (النبي ذاته) وليست متمثلة كما هو معروف للناس بنزول الوحي على قلب النبي، وهذا القول ينفي وجود هذا الفعل، وهذا التفسير يتقارب مع رفضه للمثالية وإيمانه بالواقعية.

ويلاحظ في الكتاب المقدس ان عالم الارض عالم زوال ووهم وكذب، والجسد مجـرد أداة للنفـس ليـس غيـر، وهذا يتفق مع تأكيـد أغلب الفلاسـفة المثاليين بدءاً من أفلاطون وصولاً إلى المثالية المطلقة، وهذا ما يعارضه نيتشه.

والمسـيحية تمثـل مجمل التفسـير الغربـي المثالي للوجود، وهذا التفسـير يتصور المحسـوس والأرض والجسـد علـى أضـواء الأفـكار، وعلـى ضـوء عالم فـوق العالم الارضي، ويرى نيتشـه في المسـيحية في نهاية المطاف "أفلاطونية للشـعب" و"تبسـيطاً للميتافيزيقا"[1].

والواقع أن موقف نيتشـه من المسـيحية لا يختلف عن موقفه من الفلسـفة الغربية فكلاهما يقع ضمن المنظومةالتي يريد تحطيمها واعادة تشكيلها على أسس جديدة فهو يقول" انه من الضروري ان تقول من هو الذي نشعر به عدواً لنا، انهم اللاهوتيون، وكل من يحملون في أجسادهم دما لاهوتياً، إنهم كل فلاسفتنا"[2]، ثم يقول في نقده للمثالية ومسـاواتها للمسـيحية أو الكهنة "المثالي على ذات المساواة مع الكاهن، يملك في يده كل المفاهيـم الكبيـرة أو ليـس في يده فقط" ويتنازل ليواجـه باحتقار "المملكة العقلية" "الأحاسيس" و"الرفعة" و"الرخاء" و"العلم"، وأنه ليرى أموراً كهذه دونه، ويراها قوى مؤذية ومغوية، وفوقها جميعا يطوف "الروح" في حرية ذاتية خالصة. فالمسـيحية تنظر إلـى كل مـا هـو طبيعـي على انه لا قيمة له. وفي الألوهية المسـيحية يؤله جوهر مفارق العالم، وهذا يعني بنظره تأليه لا شـيء والمسـألة كلها ترمي إلى تقديس إرادة العدم[3]. فهو يقول "يعد أحداث (مفهوم الطبيعة) كمفهوم مضاد (لله) فان كلمة (طبيعي) جعلت

(1) أويغن فنك: فلسفة نيتشه، ص 165.

(2) نيتشه: عدو المسيح، ص 34.

(3) رودلف شتاينر: نيتشه مكافحا ضد عصره، ص 153.

مترادفة مع (مذموم أو مستنكر)"[1]. ثم يقول في نقده لمفهوم الله والجوهر للعالم الواقعي "في مفهوم الله، تعلن وتذاع العداوة للحياة وللطبيعة ولإرادة الحياة والله صيغة لكل النمائم الكاذبة عن (الدنيا) وكل كذبة عن (الآخرة) وفي الله يؤله العدم وتقدس إرادة العدم"[2]. وهذه تمثل الرؤيا المثالية تجاه الحياة والطبيعة فالمسيحية تتقارب مع المثالية كما ذكرنا سابقاً، وهما يقدسان العالم الاخر وهو العالم المثالي، العالم الحقيقي، فهم بنظره تمثل إرادة العدم لأنها مفاهيم ليست واقعية.

وحملة نيتشه عن المسيحية تتساوق مع فلسفته لأنه يجد في المسيحية دعوة للتواضع والخضوع والطيبة في حين هو يطلب الارتفاع والكبرياء والقسوة[3].

يعتقد نيتشيه ان فكرة الله تمثل سلطة مطلقة على الإنسان وكرست هذه السلطة الديانات المتعاقبة، فاطاعة الله واجب قدس في كل الكتب السماوية، اما الذي يقف في وجه هذه السلطة رافضاً الطاعة فمصيره جهنم ولذا نيتشه يقول في هذا " ماذا؟ ان الهاً يحب البشر بشرط ان يؤمنوا به، ويرشف بنظرات رهيبة ومتوعدة كل من لا يؤمن بهذا الحب: ماذا؟ حباً تعاقدياً هو شعور اله كلي القدرة! حباً لم يستطع ان يتجاوز مشروع العطش إلى الانتقام! كم هو شر في كل هذا: إذا كنت احبك، هل هذا امر يعنيك؟ هذا لوحده يكفي لنقد المسيحية باكملها"[4]. وهذا السؤال ينتج عن إذا كان الامر لا يعني الاله، فهذا يؤدي إلى انتفاء الحاجة إلى الايمان، وبالتالي تنعدم العقيدة الدينية، لأنها تقوم على الحب والعشق بين العبد وربه.

تلك الفكرة التي طرحتها المسيحية جعلت الإنسان يخاف الله امام عدم مخاوفه من الإنسانية، وهذا هو التعارض بين الارادتين أي بين الله والإنسان، وهو الصراع القائم في فلسفة نيتشه لاقصاء سلطة الاله عن الوجود فنيتشه هو القائل " ان الاله قد مات "[5]. وهو القائل ايضاً " الا يجدر بنا ان نصير نحن انفسنا الهة"[6]. لقد نظر نيتشه

(1) نيتشه: عدو المسيح، ص 50.
(2) المصدر نفسه، ص 50.
(3) سلامة موسى: هؤلاء علموني، ص 69.
(4) نيتشه: العلم الجذل، ص 125.
(5) نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص 30.
(6) نيتشه: العلم الجذل، ص 118. ينظر: عادل العوا، مذاهب الأخلاقية، ص 307، حول قضية ان الاله عقبة تقف امام تأكيد الإنسان لذاته، وينظر: فؤاد زكريا، نيتشه، ص 40.

إلـى الإنسـان فوجـد ثمـة قوة إبداعية هائلـة تكمن في اعماق ذاتـه وارادته، ولكن هذه القوة الكبرى قد بقيت معطلة نتيجة لانشـغالنا بالانحناء في ذلة وصغار امام قدرة الهية مزعومة. ان نيتشـه يريد للإنسـان ان يكون خالقاً فكيف يمكنه ان يسـتبقي فكرة الاله[1]. نيتشـه يريد ان يشـعر الإنسـان بان هنالك غاية داخل حدود الوجود وليس خارجة عنه أو فوق الوجود، فهو يريد من الإنسان ان يجعل من نفسه هي الغاية وليس كائنا مفارقا للوجود خلقته الديانات بصورة عامة، والمسـيحية بصورة خاصة وفلسـفة افلاطون وهو يـرى "هـذا الايمان المسـيحي الذي كان ايضاً ايمانـم افلاطون الذي كان الحق لديه مع الله، وكل حقيقة هي حقيقة الهية، ولكن إذا أصبح هذا أكثر فأكثر غير قابل للتصديق؟ إذ اظهر لا شيئ اشد الوهية، ما عدا الخطأ، العمى، الكذب، إذ اتضح ان الاله نفسه لم يكن الا اطول كذبة لنا"[2]. إذ ان نيتشه يرى في المسيحية تقدس الخطأ وتعظم العدم والسلب على حسـاب الإنسـان والوجود والحياة والارض وهو لم يقف عند هذا الحد في نقده للمسيحية بل يقول ايضاً " منذ الان لم تعد حججنا هي التي تحكم ضد المسيحية. انه ذوقنا هو الذي يحكم ضدها "[3]اذن صار هناك ترابط وتلازم بين المسـيحية والرفض، أي لم تصبح الحجج هي التي نبني على ضوئها رأينا النقدي تجاه المسـيحية، بل صار نقضاً نيتشـوياً للمسـيحية. لكونها تتعارض وثقافة العصر الذي شهده لذلك صار الذوق هو الذي يحكم وليس العقل.

فالمسـيحية لـم تكتف برفـض عالم الحياة والارض، بـل زادت في تطرفها فقد حاربـت الغرائـز والشـهوات التـي يحيـا عليها الإنسـان، فتلك الحقائـق تمثل جوهر الوجـود الإنسـاني فمـن يمـارس هـذه الامور يعد من وجهة نظر المسـيحية الكنسـية كمرتكـب الخطيئـة الخطيـرة علـى الحياة، وهذا في نظر نيتشـه يمثـل مهاجمة الحياة واقتلاعهـا مـن الجـذر لذا فهو يقـول "ان مهاجمة النزوات من الجـذر يعني مهاجمة الحيـاة مـن الجذر، الكنيسـة معـاد للحياة"[4]. ثـم يقول في الكنيسـة "تقول لا لادنى الرغبـات كمـا لاسـمى امانـي الحياة، وتضع الاله عـدواً للحيـاة... ان القديس الذي

(1) زكريا ابراهيم: مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، القاهرة، بلا ت، ص 189.
(2) نيتشه: العلم الجذل، ص 196.
(3) نيتشه: المصدر نفسه، ص 122.
(4) نيتشه: أفول الأصنام، ص 36.

يرضي الاله هو المحضي المثالي وينتهي امر الحياة، حينما تبدأ مملكة الرب"[1]. وكلام نيتشه هذا صحيح لأن الإنسان في ظل المسيحية لاجل ان يصبح رجل دين أو قسيس يجب ان يتجرد من نزواته وشهواته، أي القديس لا يتزوج بمعنى اصح، لأن ذلك يتعارض مع المبدأ التي قامت عليه الكنيسة وهذا الفعل يتعارض مع طبيعة وجوهر الحياة قائمة على المزاوجة، وبالتالي فان الكنيسة تنفي الحياة ولهذا السبب يصبح الاله عدو الحياة. فما جاء به نيتشه يعد مخالفة للايمان والعقيدة المسيحية، فهو قلب كل ما كان يعتبره المسيحية حقيقة وكل ما جاءت به الكنيسة المسيحية، وعظم ما هو مرفوض ومنحط واساء لكل ما هو مقدس فهم يعتبرون الحياة على الارض مصدر عذاب وشقاء وان السعادة موجودة في عالم السماء(*) فنشأت ثقافة داخل الوسط الديني تقوم على مبدأ الخطيئة والشعور بالذنب ومن ثم ثقافة الشفقة والتسامح والاستسلام...الخ من هذه الصفات التي تكرس لهيمنة الضعفاء والبؤساء والكارهين للحياة على عالمنا.

فهو يقول عن هذا الإنسان " إرادة الإنسان هذه بأن يجد نفسه مذنباً وممتهناً إلى حد يجعل التكفير عن الذنب امراً مستحيلاً. ارادته في ان يرى نفسه معاقباً دون ان يكون بوسع العقاب ان يصل يوماً إلى موازاة مرتبة الذنب، ارادته في تعفين وتسميم الأشياء في اعمق معانيها متوسلاً بذلك مشكلة القصاص والذنب لكي يقطع على نفسه دفعة واحدة وزالى الأبد كل إمكانية للخروج من سرداب الهواجس هذا. وإخيراً إرادته في إنشاء مبدأ مثالي – مبدأ الإله القدوس – حتى يؤكد لنفسه مبلغ حقارته المطلقة تجاه مثالية هذا المبدأ. بئس الدابة البشرية التعيسة الحمقاء![2]. نيتشه يرى إذا ان هذه الإرادة الإنسانية تستسلم لتصورات عجيبة غريبة مضادة للطبيعة ويعتقد ان هذا الفهم لا يرتقي إلى الإنسانية بل حيونة وان هذا الكائن دابة ليس غير، وهذا هو الإنسان المقصود في ظل المسيحية، إنسان مسير غير مخير.

والايمان المسيحي ابتداءً هو تضحية، تضحية بالحرية كلها وبالكبرياء باسره وبكل

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(*) يقول نيتشه: هناك اناس يريدون ان يجعلوا حياة الاخرين شاقة فقط لكي يمنحوهم فيما بعد وصفتهم من اللام الحياة كالمسيحية مثلاً. نيتشه إنساني مفرط في إنسانيته، ص 214.

(2) نيتشه: اصل الاخلاق وفصلها، ص 87.

ثقة ذاتية في الروح، وهو في الوقت نفسه استعباد وسخرية ذاتنية أو لستهزاء بالذات وبتر وتشويه للذات[1]. ويقول نيتشه عن هذا الايمان قائم على التشويه والبتر والاستلاب "ان في ذلك نوعاً من استلاب الإرادة وتغربها في الفضاءات النفسية، الامر الذي لم نجد له. بالتأكيد مقابلاً ولا شبيهاً "[2]. وعلى وفق هذه الرؤية المسيحية للإنسان يتجه نيتشه نحو العدم لذلك فهو يعيب على المسيحية انها تستأنس شجاعة الإنسان وتروض جسارته، وهذا خطأ لأن الحيوان المتوحش يفقد كثيراً من مظاهر روعته وعظمته عند استئناسه وفكرة الندم على الذنوب والخلاص منها التي تبشر بها المسيحية تصيب فيلسوفنا بالغثيان[3].

ان نيتشه يرفض ثقافة التسامح والشفقة والخطيئة والشعور بالذنب والندم... الخ لأنها تجعل من الإنسان كائناً مسلوب الإرادة فيكون شبيهاً بالعدم ويكون وجوده لا معنى له، لأنه كائن غير فعال كائن ممتهن لذا فهو يعيب على المسيح تبنيه تلك المبادئ ويعتقد انه لو عاش عمراً أكثر من عمره لانسلخ من تلك الافكار وتخلى عنها، ولتمسك بعالم الحياة والارض لذا فهو يقول" ان المسيح قد مات قبل اوانه، ولو انه بلغ العمر الذي بلغت لكان جحد تعاليمه ولو انه بقي في الصحراء بعيداً عن اهل الصلاح والعدل لكان علم حب الحياة وحب الارض، ولكان تعلم الضحك ايضاً "[4].

بعد كل الذي تقدم نفهم ان نيتشه جاء بثقافة مغايرة لما جاءت به المسيحية فهو يدعوا إلى التسامي، ويجعل من الإنسان غاية بحد ذاتها وليس وسيلة كما ارادته الاديان ان يكون ويعتقد نيتشه ان الشفقة والتسامح ليست سوى دعوى إلى سيادة العامة على حساب الناس الراقين، والقضية ليست سوى شعور بالذنب الأبدي الملازم للإنسان على مر القرون، وبقي الصليب يرمز لهذه الخطيئة في كل زمان ومكان، ونيتشه يدعو

(1) لورنس، كيتي: اقدم لك نيتشه، ص 106.

(2) نيتشه: أصل الاخلاق وفصلها، ص 87.

(3) رمسيس عوض: ملحدون محدثون ومعاصرون، سينا للنشر، الانتشار العربي، لندن، بيروت، القاهرة، ط 1، 1998، ص 22. يقول نيتشه "إن إحدى مهارات المسيحية هي ان تعلم المرء بصراحة ان الإنسان، بشكل عام، دنيئ غير معصوم، وسافل بحيث ان ازدراءه لامرء اخر يصير مستحيلاً"، نيتشه مفرط بإنسانيته، ص 81.

(4) نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص 98.

للتخلص من هذه الرموز البالية(*). ونعطي للإنسان قيمته الحقيقية، لكن الاثنين يتفقان حول مبدأ العدمية، فالمسيحية تؤمن ان عالمنا عالم فساد وعذاب ومأسي وان السعادة الحقيقة في عالم السماء، هذه الدعوة عدمية بحدذاتها لأنها تنفي الواقع وتؤسس لعالم مبني على التسامي والخيال أو عالم مثالي. اما نيتشه فهو عدمي من ناحية أخرى فهو ينفي وجود ذلك العالم الذي تعتقده المسيحية لأنه عالم قائم على التجريدات فهو يقول عن هذا العالم" لقد ابتدعت فكرة الاله كمفهوم نقيض للحياة؛ داخلها جمع كل ما هو مضر، سام ومفتر، وكل العداوة القاتلة للحياة، في كل موحد مثير للفزع وابتدعت فكرة (الما وراء) و(العالم الحقيقي) من اجل تجريد العالم الواقعي الوحيد الموجود من كل قيمة، كي لا يحتفظ بواقعنا الارضي باي هدف ولا اية معقولة، واية مهمة، وابتدعت فكرة (الروح) و(العقل) واخيراً (الروح الخالدة) بهدف تحقير الجسد واصابته بالمرض"(1). هذه الثقافة والاخلاق التي تبنتها المسيحية ومن قبلها الافلاطونية ليست سوى ترويج لثقافة الانحطاط والدعوة للارتفاع لكل مالا هو ممتهن ومبتذل،وهو يمثل دعوة سيادة منطق الضعفاء على حساب الاقوياء، وموقفه هذا ات من ايمانه بالصيرورة والتطور، والمسيحية تؤمن بعالم خيالي على حساب الواقع(**) وتؤمن بالمعجزات على حساب العلم وبالتالي هي نقيض للطبيعة والحياة والوجود. ونيتشه ديونزيوسي (وديونزيوس(***) ضد المصلوب(****)). فهو يقول عن اثر ديونيزيوس عليه"ان ما يبدو

(*) يقول نيتشه: حين نسمع دقات الاجراس القديمة، صباح الاحد، نتسائل: ايعقل كل هذا من اجل يهودي تم صلبه منذ ألفي سنة وكان يدعي انه ابن الله 00000 اتخاذ الصليب كرمز في عصر لا يعرف غاية ولا خزيه – أية قشعريرة رعب يبعثه فينا كل هذا، كنفثة تنبعث من قبر ماض سحيق! من يصدق اننا لا زلنا نؤمن بهذه الأشياء"، نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته، ص79–80. هذا الاستهجان اتجاه الرموز الدينية لأنه يعدها لا تتلائم مع التطورات الحاصلة في المجالات المعرفية والعلمية، وعليه يجب ازالتها لأنها تمثل ماضاً تعيساً لا يمثل العقل الإنساني.

(1) نيتشه: هذا هو الإنسان، ص 163. كذلك ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص376؛ وينظر أيضاً: Friedrich Nietzsche: the Anti-christ, penguin in classics, England ,1968. P125.. نفس المعطيات.

(**) فالمسيحية تقف على النقيض من الفكر العقلي الصحيح فهي تستطيع ان تستخدم العقل المريض كعقل مسيحي، وتاخذ الجانب المعتوه في كل شيء Friedrich Nietzsche: the Anti-christ, penguin in classics, England, 1968, p. 159.

(***) ديونيزيوس اله الشر والخمر والفوضى، في الفكر الأسطوري الأغريقي.

(****) المصلوب: هو النبي عيسى بن مريم (ع).

لي كأحد عناصر أعتزازي بنفسي. إنني تلميذ لديونيزيوس واني أفضل ان أكون مهرجا على ان أكون قديساً"[1]ان ديونيزيوس يتناقض مع القوة الفردية التي تتدعي ابولو، وهذا الأخير هو راعي العقل والسيطرة والثبات.[2] ففي حين نرى ان أبولو يمثل رمزا للقوة والعقل والسيطرة ومن ثم التقيد والفردية، يرى نيتشه ان ديونيزيوس بالنسبة له هو رمز جريان الحياة في ذاتها إذ تتكسر وتنهار تحته كل الحواجز ويتجاهل كل المعوقات ويلاحظ عنده الأنتعاش مع الحياة". [3] وهذا يؤكد قول نيتشه بأن ديونيزيوس هو نقيض للمسيح لأن الاخير ينكر الحياة وينفيها لاجل العالم الآخر السماوي عالم العدم، بينما ديونيزيوس يمثل رمز للوجود والحياة واللعب والفرح، والروح الديونيزيوسية النيتشوية نقيض للروح الأبولونية التي تمثلها المسيحية الأن.

وما أكثر النصوص التي تؤكد موقف نيتشه من المسيحية ومنها قوله " في الحقيقة ان الإنسان لا يمكن ان يكون فيلولوجياً أو فيزيائياً بدون ان يكون في نفس الوقت ضد المسيحية، لأن الفيلولوجي الذي يرى فيما وراء الكتب المقدسة، والفيزيائي الذي يرى الفساد السايكولوجي لموضوعات المسيحية كلاهما يقول بانها خرافة ومرض عضال على التوالي "[4]. ونيتشه كما هو معروف فيلولوجي[5].

الخاتمة:

إن الفكر الديني فكر ذو خطاب غيبي، واليهودية والمسيحية تقع ضمن اطار هذا الخطاب وليست خارجة عنه، والخطاب الديني يؤمن بالخرافة والافعال الخارقة للعادة

(1) Existentalism.basic writing swith introductions;bycherles Guignon and derkperebom. Hacheit pudlishing Gompany, 1995, p. 87.

(2) Frederich ccopleston ;History of Philosophy, volum Vll, London 1963, p. 397.

(3) بدوي:المصدر نفسه، ص 37.

(4) Friedrich Nietzsche: the Anti-christ, penguin in classics, England, 1968.163.

(5) الفيلولوجيا (فقه اللغة) يعرفها سوسير بأنها تحدد النصوص وتفسرها، لكنها تهتم ايضاً بتاريخ الادب والعادات والمؤسسات ودراسة الكتابات، موضوعها الاساس تأصيل النصوص وتشمل الدراسة الفيلولوجية: أ. تورخة الوثائق أو المدونات. ب. دراسة الكتابة مع توضيح غوامضها. ج. مقارنة المتغيرات اللغوية وترتيب العيوب والاخطاء.هذه المراحل الثلاث تؤدي إلى وضع معايير أصالة النص أو صدقيته. خليل احمد خليل: معجم المصطلحات اللغوية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1 ، 1995، ص 103-102.

(المعجزة) التي لا يستطيع العلم توكيدها كما يدعون، فالمعجزات والخوارق لا يمكن الامساك بها أو التأكد من صحتها. ومن ثم فان الخطاب الديني مبني على اسس هشة لا يمكن الارتكاز أو البناء عليها. على العكس من الخطاب العلمي القائم على ضوء ما يقدمه الينا الواقع والتجربة من حقائق يقينية صادقة لا يمكن الشك بمصداقيتها. وبالنتيجة وصل نيتشه إلى القول بموت الله، وهذه المقولة تحمل كثيراً من التفسيرات، أحد هذه التفسيرات هو اعلان موت الدين ومن ثم نهايته، ومن هنا يتبادر إلى الذهن السؤال الأتي: ما قيمة الدين دون غاية معروفة، ونيتشه لا يعلن موت الله فقط، بل القضاء على ظله ايضاً، فيقول"مات بوذا، إلا انهم استمروا لقرون طويلة يعرضون ظله في كهف، ظل عظيم ومخيف. مات الله لكن من طبيعة البشر انه وربما لآلاف السنين ستبقى هناك كهوف تعرض ظله، ونحن بدورنا علينا أن نقضي على ظله ايضاً."[1] إذن هي دعوى لإلغاء الروح والعقائد الدينية عند كل الناس.

هذه الدعوى تكمن في الغاء الغاية التي تقوم عليها الأديان، بحيث تصبح لا قيمة لها، في هذه الدعوى يؤكد نيتشه وجود غاية واحدة هي (الإنسان الارقى) وفي ذلك يقول نيتشه" لقد مات جميع الآلهة، فلن يعد لنا من أمل الا ظهور الإنسان الأرقى، فلتكن هذه إرادتنا عندما تبلغ الشمس الهاجرة،هكذا تكلم زارا"[2]، فعندما يقول نيتشه بغاية أخرى غير الإنسان الأرقى يصبح لا معنى لفكرة هذا الإنسان. والدين مصدر ضعف فاذا صار غاية سيظهر لنا عدد من المعاقين وأصحاب الأمراض والعاهات والمرتدين والضعفاء والبائسين، أما إذا أصبح وسيلة كباقي الوسائل الآخرى فسيكون هدف الإنسان الاول هو الوصول إلى ذلك الإنسان الارقى.

تتعارض هذه الرؤية النيتشوية للدين مع ما جاءت به الفلسفة الوسيطة والحديثة، وتحديداً الفلاسفة المسيحيون وبعض الفلاسفة المحدثين، فكانت الغاية القصوى من فلسفتهم هي الوصول لمعرفة الله، فكانت الأفكار الفلسفية والأخلاقية هي الطريق الواصل إلى معرفة الله. هذا الطريق العمودي المتجه نحو الاعلى نحو العدم، نحو نفي الوجود والعالم، بينما طريق نيتشه افقي يتجه نحو الوجود ونحو الإنسان، وتحديداً (الإنسان الارقى).

(1) نيتشه: العلم الجذل، ص 107.

(2) نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص 105.

هـذه الرؤيا النيتشـوية تجاه الدين تقتـرب مع رأي ماركس، فالاخير يرى ان الدين يفصـل فصـلاً قاطعـاً بيـن حيـاة ارضيـة وحيـاة ابديـة. ولهذا يدعـوا الفقراء إلـى اليأس والاستسـلام مـن الدنيـا. يقول ماركـس: "الدين هو زفرة الخليقـة المقهورة، وهو مزاج عالم بلا قلب، وهو الروح لاحوال بلا روح. انه افيون الشعوب"[1]. أي ان الإنسان في ظل الدين مسـلوب الإرادة والدين وجد للفقراء والضعفاء والبائسـين وهو السـبب في خمولهم وخنوعهم وطاعتهم للاسـتبداد. لذلك فهو يدعو لازالة الدين فيقول "ان ازالة الدين بوصفه السـعادة الوهمية للشـعب هو الشـرط لتحقيق سـعادته الحقيقية. ومطالبته للتخلـي عـن الاوهـام المتعلقـة باحوالـه هـي المطالبـة بالتخلي عن احـوال تحتاج إلى اوهـام"[2]. اذن هنالـك تقـارب في وجهات النظر بين الفيلسـوفين، لكـن الفرق الوحيد بينهما ان ماركس يؤمن بالمساواة بين الناس ويرفض بقاء الطبقية على الرغم من ايمانه بأن التاريخ يحركه الصراع الطبقي، ولكنه يريد ازالة الطبقية لتتحقق العدالة الاجتماعية من خلال الثورة وانهاء الملكية الأقطاعية الارستقراطية. ودعوة ماركس هذه تتقارب مع ما جاءت به الاديان السماوية، اما نيتشه فيؤمن بالطبقية ايماناً مطلقاً لأنها تمثل الواقع.

وختاماً فأن الرؤية النيتشوية للدين تريد للإنسان ان يكون حراً مخيراً غير مسير، لا كمـا تريـده الأديان مطيعـاً، أي انه غير مجبر بالالتزام أوعدمه تجاه الأفكار والمعتقدات الدينية.

(1) عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ص 420.
(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.